ISSN: 2710-8759/ EISSN: 2992-1376 | 2026/01/15 | مجلة أطراس07(01)، 594-605

التُراث والبِيئة الإجتِماعية في التَشكيل الفنّي الاستشراقي بالجزائر

Heritage and the Social Environment in the Orientalist Art Formation in Algeria

حمزه تريكي*[1]، خالد سعسع[2]

[1] كلية الفنون والثقافة، جامعة قسنطينة 3، صالح بوبنيدر، الجزائر

[2] كلية الفنون والثقافة، جامعة قسنطينة 3/ صالح بوبنيدر، الجزائر

تاريخ الاستلام : 2024/05/10 ؛ **تاريخ القبول** : 2026/01/02 ؛ **تاريخ النشر** : 2026/01/15

الملخص

يَتَناول هذا البَحث بالتَحليل النَقدي التَشكيل الفَني الاستشراقي في الجزائر، مُركزاً على تَأثِير التُراث والبِيئة الاجتماعية كعناصر فاعلة في بَلورة هذا التَشكيل، كما يَكشف البحث في جُزئياتِه استلهام الفَنانون المُستَشرقون موضُوعاتِهم من الواقع الجزائري، مُصورين جَوانِب من الحَياة اليَومية والبيئة الاجتماعية كالأسواق والعادات، ومُوثقين عَناصر من التُراث المادي كالعِمارة الإسلامية والمَناظر الطَبِيعية، ومع ذلك يُجادل البَحث بأن هذا الاستلهام لم يكن تسجيلاً بريئاً، بل خَضع لتحويرات نابعة من الرؤية الاستشراقية والسياق الاستعماري. ويُظهر التحليل أن الخِطاب البَصري الناتِج، بما فيه من قيم بَصرية (كالألوان والتكوين والضوء) ويَحملُ أبعاداً تأويلية مُتعددة اذ يَمتزجُ التَوثِيق الظاهري بالصور النَمطية خاصة في تَمثِيل المرأة والتَخَيُل الغَرائبِي، ويَخلُص البَحث إلى أن هذا الفن رغَم إشكاليته الأيديولوجية، وساهَم في سَرد بَصري مُحدد للتَارِيخ الثَقافِي الجزائري، مُقدماً أرشيفاً يَتَطلب قِراءة نَقدية مُستَمِرة لِكشف طَبقاته الدلالية وفهم دِينامِيكيات التَمثِيل الثَقافي خِلال الحُقبة الاستعمارية.

الكلمات المفتاحية: فن استشراقي، الجزائر، تراث، بيئة اجتماعية، تمثيل ثقافي.

Abstract

This research critically analyzes Orientalist artistic formation in Algeria, focusing on the influence of Heritage and the social environment as formative elements shaping this art. The study details how Orientalist artists drew inspiration for their subjects from Algerian reality, depicting aspects of daily life and the social environment, such as markets and customs, and documenting elements of material Heritage, including Islamic architecture and landscapes. However, the research argues that this inspiration was not neutral documentation but was altered by the Orientalist perspective and the colonial context. The analysis reveals that the resulting visual discourse, including its visual elements (such as color, composition, and light), carried complex interpretive dimensions, in which apparent documentation blended with stereotypes, particularly in the representation of women, and with exotic fantasy. The research concludes that this art, despite its problematic ideology, contributed to a specific visual narrative of Algerian cultural history, presenting an archive that requires ongoing critical reading to uncover its layers of meaning and understand the dynamics of cultural representation during the colonial era.

Keywords: Algeria, cultural representation, Heritage, Orientalist art, social environment

الاستشهاد بالمقال

تريكي حمزة و سعسع خالد. (2026). التراث والبيئة الاجتماعية في التشكيل الفنّي الاستشراقي بالجزائر. *مجلة أطراس*، *7*(1)، 594-605. https://doi.org/10.70091/Atras/vol07no01.41

* Emails: [1]hamza.triki@univ-constantine3.dz, [2]

This is an Open Access Article under The CCBY License

مقدمة

شهدت الساحة الفنية خلال النصف الأخير من القرن التاسع عشر تغييرا جديدا في إنتاج الفن؛ هذا من خلال نمو الفكر الفني لدى الرسامين في تلك الفترة، حيث أراد الفنان أن تبدو أعماله أكثر واقعية بتوظيف تقنياته ومهاراته الخاصة، ليبدأ الاتجاه الرومنسي في الانخفاض والتراجع إلى الوراء، ومنه بروز الأسلوب الجديد الذي كان قد تأثر بالتصوير الفوتوغرافي الذي سبقه بمدة تقارب العشرة سنوات، أين أصبح اعتناء الفنان بتلخيص المشاهد الأصلية بالتركيز على الإبداع والوصف في أعمال فنية تمثّل الواقع دون الاهتمام الكبير بالتفاصيل.

بعد فترة من ذلك بدأ هذا المفهوم الجديد بالانقسام بين فئتين من الفنانين، حيث سارت الفئة الأولى ضمن قواعد ظهور المدرسة الواقعية وما إلى ذلك من إظهار للتعبير الفضولي في تمثيل الموضوع، أما الفئة الثانية فقد سعت إلى خلق جماليات بصرية مختلفة تُعنى بالأشكال والألوان والدقة في التمثيلات، وقد كان لزيارات عدد من الفنانين إلى الجزائر الأثر البالغ على في إعطاء رؤية بصرية مختلفة عما ألفه جمهور الصالونات والمعارض في الغرب، مما أثار فضول الفنانين بدرجة أولى وأثارت استلهاماتهم ومنه توجيه رحلاتهم إلى بلاد الشرق على الرغم من الاختلاف الثقافي والتباعد الجغرافي بينها وبين مواطنهم، وقد زاد من حماسهم شغف الناس بمعرفة المزيد عن الشرق خاصة وأن التيار الانطباعي عرف أسلوبا جديدا في التنفيذ من خلال مراعاة الجمالية البصرية في الموضوعات الشرقية.

سرعان ما عرفت هذه الموضوعات فيما بعد تخيلات وتزييفات في تفاصيل الأعمال الفنية، خاصة بعد انضمام المستشرقين من الفنانين ضمن الرحلات الكولونيالية وعلى رأسها الجزائر، فقد تعدت العلاقة بين الذات والآخر (الواصف والموصوف) حدود التمثيل الجمالي الواقعي إلى التمثيل الجمالي المركب، ليظهر إنتاج فني جديد يمثله أصحاب الاتجاه الاستشراقي يحمل في طياته الكثير من التساؤلات الفكرية عن مدى سردها للتاريخ الحضاري والإرث الثقافي للأمة الجزائرية في فترة سابقة، وعليه تطرح الإشكالية الآتية:

– كيف ساهم الفنانون المستشرقون في سرد تاريخ الجزائر الثقافي من خلال أعمالهم الفنية؟ وما هي الأبعاد التأويلية للقيم البصرية في خطابهم الفني؟

"إن الخطاب الاستشراقي لم يكن أمينا في عرضه للتراث الإسلامي والتاريخي لا للمستشرقين من جانب، ولا للعالم الإسلامي من جانب آخر، لقد شوّه الاستشراق من نفسه ومن تاريخه كما شوّه انجازاته وشوّه الشخصية الإسلامية أمام نفسها وأمام العالم الغربي فما استطاع الغرب أن يفهمها حين تعامل معها" (الفيومي، 1993، ص 208)

ظل التراث أحد أهم محاور التصوير الاستشراقي منذ أن انضم الفنانون إلى المدرسة الاستشراقية الفرنسية، والتي أثرت هي الأخرى بشكل بالغ في توجيه تجاربهم الجمالية في كثير من الأحيان لخدمة الأجندة الاستعمارية، أما عن أهم أوجه التراث فقد تناولها المستشرقون في مشاهد عدة تحاكي الطبيعة والعمران ومشاهد تعبر عن العادات وتقاليد المجتمع، بينما عبرت لوحات أخرى عن مشاهد الرقص النسوي والعري، وهي الجوانب التي سنتناولها كالآتي:

1- الجوانب الاجتماعية

1-1- المشاهد اليومية

دأب فنانون كثر على تمثيل مشاهد من الحياة اليومية كأمثال والرسام الفرنسي المستشرق **ليون كوفي Léon Cauvy (1874-1933)** على اختيار الأفكار المناسبة لأعمالهم الفنية، من خلال الارتداد على الأسواق ومراقبة الناس في أماكن عدة خلال تعاملاتهم الاجتماعية العامة وبعض المشاهد التي تكاد تكون بعيدة عن الحقيقة في كثير من جوانبها في المعاملات ذات الطابع الخصوصي لداخل البيت الجزائري وخصوصية المرأة بشكل أدق، ومن ثمة اختيار زاوية الرؤية المناسبة التي تسمح له باختيار المشهد المناسب وتجسيده.

كانت الأسواق الشعبية والمتوارثة من الفترة العثمانية الوجهة الأولى للفنانين المستشرقين في اختيار مواضيع اليوميات في أعمالهم الفنية، وقد كانت هذه الأسواق داخلية تتمثل في الأسواق الأسبوعية والموسمية في مختلف المدن والأرياف التي تتخللها رحلات التبادل التجاري بين مختلف المناطق خاصة منها الصحراوية؛ (Chenntouf, 2004, p. 63) وهي المواضيع التي تحفل بالكثير من المشاهد التي تحاكي كل منها حيوية الأفراد وتوحد رؤاهم وثباتها في الحفاظ على عاداتهم المعبرة عن هويتهم.

لعل مشاهد الحياة اليومية للمجتمع والتي يظهرُ فيها الأفراد منشغلين بأنشطتهم وأشغالهم اليومية من أكثر المواضيع تناولا في اللوحات الاستشراقية، هاته الأخيرة التي تعطي لنا رؤية استشرافية عن الطبيعة الاجتماعية للمجتمع الجزائري نظرا لما تحمله من حركية ذات إيحاءات مغايرة واختلاف عن ما ألفوه من حياة يومية في بلاد الغرب، وقد صوّرت عديد اللوحات الشوارع العتيقة الغنية بنظرة فريدة تندمج فيها عناصر العمارة مع حركية الأفراد في انشغال تام بأنشطتهم اليومية.

فالشوارع في الشمال تختلف عن مثيلتها في باقي ربوع الوطن، حيث تمتاز بمخططات تربيعية تكعيبية ذات مساحات مختلفة وتصاميم متباينة تتخللها أزقة ضيقة تكاد واجهات المباني فيها تكون متلاصقة، وهي بعيدة عن ضوضاء الشوارع الكبرى والفضاءات العامة، (عقاب، 2002، ص 106) ونحن نلمح من خلال تعاملنا مع مختلف اللوحات التي تمثل المشاهد اليومية هدوءا وسكونا في شوارع مدن الشمال تعكسه تصاوير شوارع القصبة في شق كبير بالإضافة إلى مختلف الشوارع الشعبية الأخرى في المدن الكبرى التي يعمرها المستوطنون، بينما تزداد الحركية وتتنوع العناصر في مدن الجنوب في مدلول عن الخوض في حياة السكان وعاداتهم وخصوصيته المتفردة عن باقي المناطق، خاصة وأن الألوان تختلف باختلاف البيئة الطبيعية للمنطقة لتتناغم أكثر داخل فضاء اللوحة على عكس نظيرتها في مشاهد شوارع الشمال، وهو ما يعكسه اهتمام المستشرقين بيوميات ساكنة الجنوب على غرار "أولاد نايل".

كذلك صوّر الفنانون المستشرقون جانبا من خصوصية البيت الجزائري في حالات شاذة ارتكزت في تجسيدها على ثلاث طرق، الأولى كانت باستئجار الفنانين لشقق محددة داخل الأحياء الشعبية تسمح لهم بمراقبة الناس في غفلة منهم وهي الطريقة الشائعة في تصوير الحياة اليومية لسكان خاصة النساء على سطوح المنازل، أما الثانية فقد اعتمدت على شراء الذمم لدخول المنزل ومشاهدة يوميات الأفراد وخصوصياتهم عن قرب ومنه تشكيل مواضيع أعمالهم الفنية التي كان عنصر المرأة فيها السائد في تشكيلاتهم الفنية، في الطريقة الثالثة لجأ المستشرقون على غرار كل من لويس **جوزيف أنتونيسين**

ANTHONISSEN Louis-Joseph (1849-1913) وبول جان بابتيست لازارج **Paul Jean-Baptiste LAZERGES (1845-1902)** والانجليزي (بريطانيا) **توماس فريدريك ميسون شيرد Thomas Frederick Mason Sheard (1866–1921)** إلى تسجيل يوميات حياة البادية وسكان المناطق الصحراوية في الساحات ومختلف التجمعات وما إلى ذلك من أنشطة على ضفاف الأودية والواحات.

Figure 1. Thomas Frederick Mason Sheard
The Market Place, Ghardaia, oil on canvas, 92 x 120 cm,

- المصدر: https://www.repro-tableaux.com

1-2- مشاهد النساء

كانت تصاوير النساء حاضرة بقوة في التشكيلات الفنية للمستشرقين، وبات انجاز بورتريهات جميلات الشرق من بين المواضيع المميزة لدى الفنانين، ففي بلاد الشرق تختلف مورفولجية الأفراد وطبيعتهم و تختلف معها التعابير وما إلى ذلك من نسب وقياسات ومعايير الجمال، فلكل فكرته المسبقة عن نساء الشرق قبل وطئته البلاد العربية على وجه الخصوص، خاصة بما اكتسبوه من أفكار خلال تعاطيهم مع الحكايات والأساطير التي تتناولها على غرار كتاب ألف ليلة وليلة وما إلى ذلك من لوحات أوائل المستشرقين.

بات اكتشاف نساء الشرق من المواضيع المحببة، خاصة بعدما كانت الانطباعات الأولى تشير إلى الجمال الفائق والخلاب الذي يسحر العيون، بالإضافة إلى النظرة الشهوانية التي سمعوا عنها في القصص وما إلى ذلك، لكن الأمر لم يكن كذلك في المجتمع الجزائري على وجه التحديد، لقد صدم الكثير من الفنانين المستشرقين من جمال أخاذ لشابات الجزائر خاصة في ظل الحفاظ على العادات والتقاليد من لباس و وشم وحلي...إلخ، فالصورة المتخيلة لم تعد خيالا بل هي واقع تفنن في انجاز تفاصيل لوحاته رحالة شغوفين بالكشف عن مواطن الجمال في بلاد الشرق. (التومي، 2019/2018، ص 35)

في المرحلة الأولى كان تمثيل المرأة خاضع لعدد من المعطيات على رأسها المخطط الذي سطرته المدرسة الاستشراقية الفرنسية بالجزائر لخدمة مصالحها، وقد لجأ الفنانون في مرحلة أولى إلى التقليل من شأن وسمعة الآخر بأعمال

فنية تكاد تكون بعيدة عن الواقع، فبرز تصوير العري المتعمد والمستوحى من الخيال لمشاهد حميمية بين الشبان والشابات وما إلى ذلك من مشاهد للنساء في خلوتهن، وهي محاولة لتمييع صورة نساء الشرق وتشبيههن بالأوروبيات في الحرية ومنه محاولة تغيير القيم الأسرية في المجتمع، (محمد خليفة، 1997، ص 59) لكن هذه المشاهد عرفت بشكل ملفت استخدام بائعات الهوى و اليهوديات و بعض الأجنبيات كموديل في محاكاة المرأة الجزائرية، بالإضافة إلى مشاهد العري بسبب المجاعة (لوحة المجاعة "La famine 1869") للفنان غوستاف غيومي وما إلى ذلك من أعمال أخرى لعدد آخر من الفنانين.

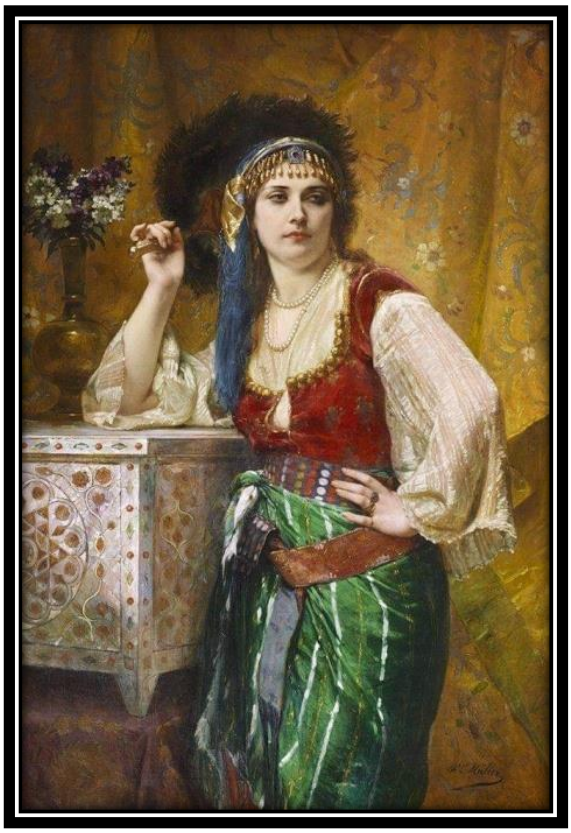

Charles Louis Muller
Figure 2. Beauté Algérienne, Huile sur toile.

- المصدر: https://www.vitaminedz.com

على صعيد آخر اهتم الفنانون بتمثيل لوحات تحاكي مشاهد الرقص الشرقي والعري بوصفهما موطن إثارة متداول عن نساء الشرق منذ القدم، حيث تعامل الفنان مع الموضوع بحساسية فائقة في تمثيل مظاهر النسوة وهن يتمايلن تحت الأنغام والموسيقى الشرقية، ومرد ذلك هو إعطاء تلك النظرة الشهوانية للنساء المتمايلات وحرية أكبر في التعامل مع الآخر من خلال سلاسة تعامل الفنان مع هذه المواضيع التي إن صحت فهي من الطابوهات، وبذلك يمكن استمالة قلوب المعمرين وباقي الشباب من ضعاف النفوس قصد الالتحاق بالمستعمرة الجديدة ومنه تجنيدهم للحرب. (مظهر الهلوش، 2018، ص 88)

"أما ما يدعيه الغرب من حرية شخصية للمرأة فهو لا يتناسب مع طبيعة المجتمع المسلم، ولا يصح أن تقاس أوضاع المرأة المسلمة على أسس أجنبية يعتبرها الغرب صالحة للمرأة الغربية، فالمجتمع الغربي له قيمه الخاصة التي سمحت

للمرأة بالاختلاط بالرجل في العمل وفي الحياة عامة" (محمد خليفة، 1997، ص 68)، فالخلفية من وراء تمييع صورة المرأة في الفن التشكيلي هي محاولة لتشويه صُمعتها وتحييدها عن مبادئها داخل مجتمعها، وبذلك توجيهها للاقتداء بنساء الغرب في الحرية التي تفتقد في كثير من جوانبها إلى المسؤوليات الاجتماعية ودورها كأم ومربية أجيال وسط بيئتها الحقيقية التي تحكمها ضوابط الشريعة الإسلامية التي كرمها الله بها.

لقد نقل العديد من المستشرقين صورا من يوميات المرأة في مناطق مختلفة من الوطن، لكن أكثريتها كان لبورتريهات تظهر جمال وزينة النسوة العربيات، شيئا فشيئا لم تعد تلك النظرة الشهوانية مسيطرة خاصة بعد الرحلات الكولونيالية الكثيرة والسفريات الحرة للأفراد نحو الجزائر، وقد كان لاحتكاك الكثير من هؤلاء الفنانين بالمجتمع الجزائري أمثال الفنان الفرنسي **نصر الدين دينيه (1861-1929) Alphonse-Étienne Dinet** |الأثر الكبير في الحياد عن تشكيل صورة المرأة الشهوانية، وما إلى ذلك من مواضيع تتنافي وقيم وأخلاق المجتمع النبيل كمرحلة ثانية، فعرف موديل البورتريه انتشارا واسعا وتبعته تشكيلات فنية أخرى توثق يوميات المرأة وجمالها وسط بيئتها في بعد تام عن التكلف.

2- مجموعة الفنون والعادات

2-1- المشاهد المعبرة عن العادات وتقاليد المجتمع الجزائري

إن المتأمل في استلهام المستشرقين للإنتاج التفافي البصري لعادات وتقاليد المجتمع الجزائري سرعان ما يلمح عكس التصوير الاستشراقي للحياة الاجتماعية في كثير من جوانبها، فقد سحرت ألوان الموروث المادي وتركيبة سكان الجزائر أعين الفنانين، فكثرة الألوان وتنوعها أمر جديد وفريد لابد من أن يدرس من طرف الفنان لضمان خصوصية تشكيله الفني و تمايزه.

FREDERICK ARTHUR BRIDGMAN

Figure 3. La Princesse, Oil on canvas, 35 x 28 cm, 1875

المصدر: https://www.markmurray.com -

اهتم البلجيكي **إدوارد فارشالفالت (1874–1955) Edouard verschaffelt** برسم بورتريهات النساء واللباس التقليدي، ليبرز من خلال لوحاته مشاهد الاحتفالات المختلفة التي تمثل العادات وفي لوحات أخرى يبرز الحلي ولباس وزينة فتيات الجزائر، وفي عدد قليل من أعماله الفنية الأخرى تناول الرجال والأطفال في إبراز للباس التقليدي وتوحد اللباس في المجتمع الجزائري، فالعادات والتقاليد تختلف من منطقة إلى أخرى وهو ما يشد الفنان إلى محاولة دراسة أوجه التقاطع والاختلاف في الطقوس الاجتماعية للمجتمع الجزائري وفق بيئته ومحيطه، وهو نفس الاهتمام الذي اتصف به **جوزيه سيلبار (1862-1939) José SILBERT** بتصوير المناسبات الاحتفالية وما يحيط بها من عادات تعكس فكر المجتمع الجزائري على غرار لوحة **"**الشرقية يوم الاحتفال" **L'orientale, jour de fête** التي تحاكي اللباس التقليدي للمرأة الشرقية.

مرة أخرى نلمس تأثر المستشرقين بجمالية التراث الثقافي المتأصل للأمة الجزائرية من خلال لوحات الفنان **جورج غاست (1869-1910) Georges GASTE** خاصة، نظير اهتمامه الشديد برسم الحلي وإبراز بريقها وتناغمها مع الوجوه التي عادة ما تحمل أوشاما، حيث تربعت فتيات بوسعادة الشابات على جزء كبير من مواضيع أعماله الفنية التي تعبر عن الأصالة والحفاظ على الموروث الشعبي والثقافي لكل منطقة، فهناك الكثير من الألبسة التقليدية التي نراها قد اختفت في وقتنا الحاضر وكان من اللازم استحضارها والمحافظة عليها، وعلى كل هناك الكثير من الفنانين المستشرقين الذين تناولوا مواضيع العادات والتقاليد وكل ما له علاقة بالهوية والتراث.

3- الجوانب المادية

3-1- مشاهد العمارة

عرفت الجزائر قديما تطورا مشهودا في مجال العمارة، خاصة في ظل التواجد العثماني وما له من أثر جلي على ازدهار جمالية العمران، حيث عرفت القصور تصاميم جديدة جنبا إلى جنب مع التصميم الداخلي للبيوت بالإضافة إلى مختلف المنشات الدينية الأخرى، فتمازجت الطرز العثمانية مع مؤثرات العمارة وتخطيطها المحلي لُتنتج لنا مدنا حضرية غاية في الجمال، وعلى الرغم من بساطتها فان نمط إخراجها الذي يراعي الوظيفية وكذا ألوان الجدران وتصاميم الديكور قد أخذت عقول الفنانين المستشرقين الذين تأثروا بالدرجة العالية من الوعي التي يتمتع بها السكان، وهو ما نلمحه خاصة في حي القصبة ذو الشوارع الضيقة أو ما يعرف بـ"الزقاق" والتي تسمح للأفراد بالتنقل بكل حرية في خلو تام للمركبات وما إلى ذلك. (علي إبراهيم،، 2008، ص 41)

لقد شغلت هندسة المدينة الجزائرية القديمة بشقيها المحلي والمتوارث عن الفترة العثمانية فكر الفنانين المستشرقين، فالمدينة متنوعة العناصر المعمارية وثريّة بالقيم الجمالية التي تحاكي تطور فن العمارة الإسلامية وبساطته، فسحر ألوانها لازال مخيما على عقولهم خاصة وأن لمسات الضوء وانعكاسه تحتاج درجة عالية من الدراسة والتمعن في كيفية توظيفها، ومنه وصف الموضوع بلمسة خاصة تزيد المتلقي شوقا لمعرفة الكثير عن بلاد الشرق وما تحمله من إرث ثقافي كبير. (خلاصي، 2007، ص 169)

في حين احتل موضوع الشوارع والأحياء الشعبية المركز الأول في لوحات المستشرقين؛ خاصة القصور الصحراوية الفخمة التي عادة ما يجمع فيها القصر الواحد عددا من القصور مثلما هو الحال بالقصر المعروف باسم "بودا" (تيميمون- أدرار) الذي يحوي مجموعة من القصور الأخرى التي تقارب الخمسة عشر قصرا، (حملاوي، 1998، ص 19) إلا أننا نلمس دقة أكبر في رسم و تشكيل التصميم الداخلي للبيوت كما هو الحال في لوحات الفنان البلجيكي دافييد دي نوتيه **David DE NOTER (1818-1892)**، بالإضافة إلى المساجد التي كانت رسوماتها أكثر دقة وعناية لعل ذلك مرده إلى احترام قدسية المكان، تظهر كذلك الزوايا والأضرحة بكثرة في أعمال عدد من الفنانين وهو ما كان اهتماما بالعادات والطقوس المتوارثة، ليتعداه إلى مرتبة تشكيل البناء والتركيز عليه أكثر من بقية العناصر، نجد كذلك تصوير بعض المدارس العلمية الأخرى و ما إلى ذلك من الكتاتيب القرآنية التي كانت منتشرة بكرة في فترة خلت.

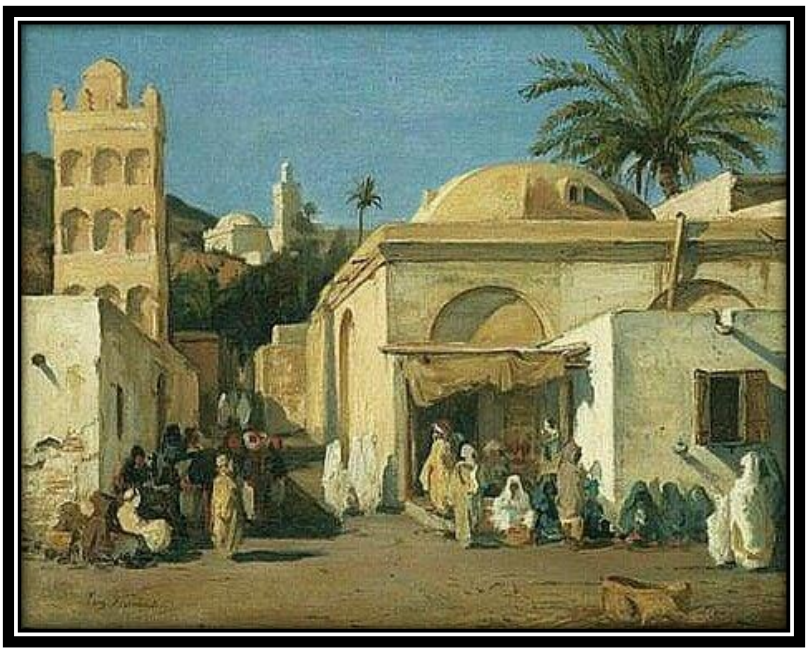

Eugène Fromentin
Figure 4. Une rue à Alger, Huile sur toile.

المصدر: https://www.pinterest.com -

يلاحظ أن اهتمام الفنانين المستشرقين بعنصر العمارة مثير للانتباه وعلى رأسهم كل من: الرسام **جون شارل لانغلوا Jean-Charles Langlois (1789-1870)**، **جيرمان فابيوس بريست Germain Fabius Brest (1823-1900)**، **إتيان مارتان ETIENNE-MARTIN (1913-1995)**، لعل ذلك مرده إلى سببين الأول يتغنى بجمالية العناصر المعمارية الإسلامية التي كان طرازها مزدهرا آنذاك، أما السبب الثاني فيُعنى بالجمالية البصرية للقيم التشكيلية ومدى تناغمها في فضاء اللوحة، فدراسة العمارة تخضع إلى اطلاع شامل على تركيب الأشكال ضمن المخططات وكذا توافق الألوان مع الصبغة المحلية للمبنى، وهي الألوان التي غلبت عليها الرماديات بتدرجاتها لعكس ظلال العناصر وإبراز الأحجام وما إلى ذلك من تجسيم، وهي الأمور التي من شأنها إبراز أن المشهد مأخوذ من بلاد الشرق. (مقنوش، 2021، ص 446)

3-2- المشاهد الطبيعية

اتسم الاستشراق الفني بالجزائر بتأثره الواضح بالطبيعة ومشاهدها، فمناظر الشرق الطبيعية غير مألوفة عند أهل الغرب وما زادها جمالا هو تنوعها من ناحية إلى أخرى، فتوجه فنانون كثر مثل **أنطوان غادان Antoine Gadan (1854-1934)** و **ماكسيم نواري MAXIME NOIRÉ (1861-1927)** و**اوجين دييه Eugène Deshayes (1828-1890)** إلى تجسيد مشاهد الريف والمساحات الواسعة التي تختلف فيها التضاريس وألوانها، وهي المشاهد التي كانت تستهويهم من ناحية جمالية فنية وبوصفها كذلك من المواضيع الأكثر رواجا في ذلك الوقت، وقد صوّروا كذلك مشاهد الميناء من زوايا مختلفة بالإضافة إلى تصوير المشاهد الطبيعية للمدينة في أماكن مختلفة.

Eugène Fromentin

Figure 5. Chasse de faucon en Algérie, oil canvas, 118 x 162 cm.

المصدر: https://www.repro-tableaux.com -

مع رحلة الكاتب والفنان **أوجين فرومنان Fromentin Eugène (1820-1876)** رفقة ثلة من زملائه إلى الصحراء الجزائرية عام 1846م ازداد الولع بأرض الشرق نظرا لما نقلته ريشة الفنانين وأقلام الكتاب عن سحر الشرق ومناظره الخلابة خاصة في منطقة الجنوب، فتهافت الكثير منهم على عدة مناطق وهو ما نلمحه في لوحات تمثل مشاهد طبيعية في كل من الأغواط بسكرة بوسعادة على وجه الخصوص، وهي الأماكن التي عرفت إقامة العديد من الفنانين بها لفترات متفاوتة قصد دراسة المنطقة واختيار المشاهد المناسبة لتكون موضوع العمل الفني. (بخوش، 2002، ص28)

وقد عرف عن المستشرق الفرنسي **غوستاف غيوميه (1883-1960) Gustave Guillaume** ولعه بالصحراء ومشاهدها الساحرة حتى لُقب بفنان الصحراء، وهو ما يعكسه أنتاجه الفني الهائل لمواضيع المشاهد الطبيعية المستوحاة من الصحراء وما إلى ذلك من مواضيع أخرى ذات صلة.

كذلك عرفت مواضيع الفنتازيا شيوعا لدى بعض الفنانين المستشرقين جنبا إلى جنب مع تصوير التجمعات الشعبية المناسباتية، وما إلى ذلك من مشاهد الصيد في الصحراء وارتحال السكان ومشاهد جلب النسوة للماء من الوديان والواحات، حيث كانت كل لوحة بمثابة مشهد توثيقي للحظة مرت من الزمن وصفها الفنان بريشته ببلاغة موصوفة تشير إلى شق من مآثر المجتمع الجزائري، كلها مشاهد جديدة عليهم وعلى ثقافتهم فهم يحاولون نقلها إلى مجتمعهم في شكل صورة، فصيد الوحوش والسباع والخوض في غمار أدغال البرية بما تحمله من مخاطر أمر قليل الحدوث لابد من تتبعه وتوثيقه، فهو من المواضيع المطلوبة من الآخر للتعرف أكثر عن سحر الشرق.

خاتمة

ختاماً، يُبرز هذا البحث بوضوح أن التشكيل الفني الاستشراقي في الجزائر لم يكن مجرد انعكاس بصري محايد، بل نتاج تفاعل معقد ومُوجَّه مع التراث بمكوناته المادية واللامادية والبيئة الاجتماعية الجزائرية، وهو ما يجيب على إشكالية البحث المحورية. فبخصوص كيفية مساهمة الفنانين المستشرقين في سرد تاريخ الجزائر الثقافي، كشف التحليل أنها كانت مساهمة جدلية وانتقائية؛ فبينما قاموا بتوثيق جوانب لافتة من التراث المادي كالعمارة الإسلامية بتفاصيل زخارفها وهندستها وعناصر من البيئة الاجتماعية كالحياة اليومية في الأسواق أو التجمعات العامة، فإن هذا السرد البصري غالباً ما تجاهل أو حرّف الخصوصيات الثقافية العميقة، حيث تم التركيز على ما يخدم الرؤية الغرائبية أو الأجندة الاستعمارية. ويتجلى ذلك بشكل خاص في تجزئة التراث اللامادي كالعادات والطقوس وفصلها عن سياقها، وتنميط فئات اجتماعية، أبرزها تمثيل المرأة الذي حُصر في قوالب نمطية تجمع بين الإثارة الحسية والخضوع المتخيل، مما قدم سرداً ثقافياً مشوهاً أكثر منه توثيقياً أميناً.

أما عن الأبعاد التأويلية للقيم البصرية في خطابهم الفني، فقد أظهر البحث كيف أن القيم البصرية: "من توظيف مدروس للألوان الزاهية أو القاتمة، والضوء والظل لإضفاء الدراما أو الغموض، والتكوين الفني الذي يعزل أو يؤطر الموضوع بطرق محددة، وصولاً إلى أسلوب رسم الأشكال والأجساد الذي يعكس تصورات ثقافية مسبقة"؛ لم تكن أدوات جمالية محضة، بل شكلت لغة بصرية مشفرة أنتجت معانيَ ودلالات تتجاوز الظاهر. هذه الأبعاد التأويلية هي التي حولت المشهد أو الشخص الجزائري إلى أيقونة استشراقية، معززةً الصور النمطية ومبررةً بشكل ضمني أو صريح للخطاب الاستعماري. وبالتالي، فإن تأثير التراث والبيئة الاجتماعية على التشكيل الفني الاستشراقي بالجزائر يتضح في هذه العلاقة المعقدة بين المادة الخام المرصودة (التراث، المجتمع) والمنتج الفني النهائي المشبع بالرؤى والتأويلات الذاتية والأيديولوجية، مما يجعل هذا الإرث الفني أرشيفاً بصرياً إشكالياً يتطلب قراءة نقدية تفكيكية، وهو ما سعى هذا البحث إلى المساهمة فيه عبر الإجابة عن تساؤلاته المطروحة وربط التحليل الفني بالسياقات الثقافية والاجتماعية والتاريخية للجزائر المستعمَرة.

لمحة حول الكاتب

حمزه تريكي: باحث وناقد فني جزائري متخصص في تحليل الخطاب البصري المعاصر، وتحديدًا في السياق الجزائري والعربي. يشتغل الباحث حول تفكيك آليات التلقي وإنتاج الدلالة في الفنون البصرية، مع تركيز حادّ على سوسيولوجيا الفن وقراءة الأعمال عبر أدوات نقدية معاصرة. يتمتع كذلك الباحث بمشاركة مؤسسية وأكاديمية واسعة ک عضو هيئة تحرير "مجلة إيفاد للدراسات الأدبية والنقدية" في إسطنبول، ومراجع في العديد من المجلات الوطنية، وعضو مخبر الممارسات الفنية والثقافية بجامعة قسنطينة 3. كما يلعب دورًا فاعلًا في المشهد الفني من خلال رئاسته لتخصص الفنون التشكيلية، ورئاسة الملتقى الوطني "الفن المعاصر في ميزان النقد"، وعضوية لجنة تحكيم الصالون الوطني للفنون التشكيلية عبر عدة نسخ، إضافة إلى تأطيره لورشات تكوينية في التخصص. على الصعيد البحثي والعلمي: عضو فرقة بحث حول "الموسيقى وتداخل الفنون"، ومراجع في مسابقة جائزة أحسن ورقة علمية جزائرية لعام 2025 تحت مظلة الشبكة العالمية للعلماء الجزائريين (INAS). **يسعى الباحث من خلال هذا العمل المتعدد الجوانب إلى تأسيس خطاب نقدي يحلل الانزياحات الجمالية للفن المحلي في حواره مع التراث والمعايير الفنية العالمية.**

- **Orcid:** https://orcid.org/my-orcid?orcid=0000-0002-2745-4147

خالد سعسع: أستاذ محاضر قسم "أ" بجامعة قسنطينة 03 صالح بوبنيدر كلية الفنون والثقافة، حاصل على دكتوراه علوم بجامعة وهران 01 أحمد بن بلة سنة 2021 تخصص نقد مسرحي وفنون العرض، له العديد من المقالات العلمية الأكاديمية، بالإضافة إلى مشاركته في المؤتمرات الدولية. عضو المجلس العلمي بكلية الفنون والثقافة، شارك في العديد من الفعاليات ذات الصلة بالمجال خارج الجامعة، كما تقلد عدة مناصب إدارية منها نائب رئيس قسم مكلف بالبيداغوجية، ونائب عميد مكلف بالدراسات والمسائل المرتبطة بالطلبة.

- **Orcid:** https://orcid.org/my-orcid?orcid=0000-0002-0794-3584

المراجع

Chenntouf, T. (2004). *Etudes d'histoire de l'Algérie : (18e-19e siècles* . Algérie: Office des publications universitaires.

االصادق بخوش. (2002). التدليس على الجمال. الجزائر: المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار،.

حسن أحمد محمد خليفة. (1997). آثار الفكر الاستشراقي في المجتمعات الإسلامية (المجلد 01). مصر: عين للدراسات والبحوث الإنسانية و الاجتماعية.

عبد الرحمن مظهر الهلوش. (2018). الشرق ملحمة العشق الاستشراقي. المملكة العربية السعودية: كتاب المجلة العربية 270.

علي التومي. (2019/2018). ظاهرة الاستشراق في الفن التشكيلي الجزائري. *رسالة دكتوراه)* . وهران: قسم الفنون، كلية الآداب والفنون، جامعة وهران.

علي حملاوي. (15 جوان, 1998). مواقع ومعالم أثرية من الجنوب الشرقي الجزائري (منطقة ورقلة ووادي ريغ). *مجلة بحوث ، 01*، الصفحات 57-77.

علي خلاصي. (2007). قصبة مدينة الجزائر (المجلد 01). الجزائر: دار الحضارة للطباعة و النشر والتوزيع.

كريم مقنوش. (07 جوان, 2021). الشرق في نظر الغرب اهتمام الفنانين والمستشرقين الفرنسيين بالجزائر أنموذجا. *مجلة الباحث في العلوم الانسانية والاجتماعية* ، الصفحات 435-451.

ليلى علي إبراهيم،. (2008). الفن المعماري الجزائري، سلسلة الفن والثقافة. جمهورية مصر العربية: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.

محمد إبراهيم الفيومي. (1993). الاستشراق رسالة استعمار تطور الصراع الغربي مع الإسلام. القاهرة: دار الفكر العربي.

محمد الطيب عقاب. (2002). لمحات عن العمارة و الفنون الإسلامية في الجزائر . مصر: مكتبة زهراء الشرق.